٥- أزرق

سطعت الشمس بأقصى ما لديها تلك الظهيرة، لم تدخر الطيور كذلك أي مجهود، فكان صوتها عاليا للغاية وهي تزدحم فوق تلك الأشجار ذات الأوراق الكثيفة والزهور الملونة المحيطة بتلك الدار الكبيرة، دخل ذلك الجندي دار القضاء مخترقا بعض الواق"فين"، لم يأخذ كثيرًا من الوقت حتى وصل لتلك القاعة الضخمة، يوجد بها بعض الحراس والناس، جلس جوزيف على مقعد عالٍ بعض الشيء، يصغي لما يقوله رجلان يتجادلان على مشكلة ما أمامه، ذو شعر أسود يصل حتى أسفل وجنتيه، عيناه حمرواتان واسعتان كحيلتان، عريض الفك ذو لحية معتدلة الطول، ذو جسد قوي وملامح بدا إرهاق الزمان منها، جلس القاضي على كرسي يجاور الأمير، يبدي آراءه خفية للأمير من حين لآخر، دوما أصر الأمير على جلوس القاضي بمحاذاته وليس أدنى منه؛ لأن هذا هو مكان القاضي في الأساس وليس مكانه هو، فوجود الحاكم لا يقلل ذلك من قدر القاضي أبدا.

"سمو الأمير جوزيف، هذا الرجل سرق نبات الشعير الخاص بي، ولا ينفك عن إخباري أنه لم يقصد، لكن بماذا سيفيد ذلك ونباتي الآن لا وجود له؟!"

أردف بها أحد الرجلين الواق"فين" أمام جوزيف، ليرد الآخر:

"يا سمو الأمير، ذلك التاجر لا يستمع فحسب، للمرة الخامسة أخبره بأن بقرتي هي من التهمت نبات الشعير، وحينما حاولت منعها كان الآوان قد فات بالفعل!"

"بسبب بقرتك أو بدونها نباتي لم يعد موجودا! سمو الأمير هذا النبات هو مصدر قوتي! فماذا سأفعل الآن؟! هل لن أجد قوت يومي لأن أبلهَ ما ترك بقرته لتأكل نباتي؟!"

"أنا لست أبلهَ أيها التاجر الأعمى! من يضع نباته في مكان كهذا معرض لتأكله أيَّة ماشية وفي النهاية تشتكيني في المحكمة؟!"

"من تدعوه بالأعمى أيها الفلاح القذر؟!"

هم الرجلان بالتعارك لولا تدخل الحراس، تحدث القاضي بأنه يجدر بهما التزام القواعد، وإلا سيتم طردهما أو سجنهما، لم يكن مثل ذاك العراك بغريب في (ليس الكبرى)، أو في أي مكان بالمملكة الغربية، فهنا الشعب أقل كلمة تستفزه للقتال فحسب، إنه شيء يجرى بدمائهم، للأسف، لكن على الرغم من ذلك، عليهما أن يدركا أن هذا تصرف سيكون له عواقب، فكر جوزيف، عم الصمت قليلا ثم تحدث كل من الرجلين:

"كامل أعذاري لك يا سمو الأمير جوزيف"

"أنا آسف حقا يا سمو الأمير"

"سمو الأمير، اقترح إعطاء البقرة لتاجر الشعير كتعويض عما فقده"

همس بها القاضي لجوزيف، كان اقتراح القاضي سهلا وسريعا ومنطقيًّا، لكن جوزيف أراد أن يتأكد أولا من أمر ما قبل أن يقرر الأخذ بنصيحة القاضي أم لا.

"ماذا تملك بخلاف تلك البقرة لكسب قوت يومك؟"

وجه جوزيف تساؤله لمالك البقرة:

"ليس لدي سواها، أنا أقسم يا سمو الأمير، ولا أستطيع دفع ثمن الشعير في الوقت الحالي"

كما توقع جوزيف فهذا الفلاح سيرثي حاله تماما دون تلك البقرة، فكر جوزيف قليلا ثم أردف:

"تناول البقرة لذلك الشعير كان خطأ غير مقصود، لكن هذا لا يعني أن العدل لن يتم"

نظر جوزيف لمالك البقرة وأردف أمرا:

"ستقتطع جزءًا كل أسبوع من حليب البقرة وتعطيه لتاجر الشعير؛ حتى توفي له ثمن كل الشعير الذي التهمته البقرة، ويجب ألا تزيد مدة سداد الدين عن الشهر!"

"أمرك يا سمو الأمير."

أردف بها مالك البقرة.

"وسيتم حبسكما يومان عقاب على تصرفكما السابق"

أشار جوزيف لأحد الحراس الذي اصطحب الرجلين مبتعدا.

"ادخل التالي!"

أمر جوزيف الحارس.

"لم يعد هناك المزيد من المنازعات اليوم يا سمو الأمير"

أومأ جوزيف بتفهم.

"اترك لك مكانك أيها القاضي"

أردف جوزيف للقاضي.

"نسعد دوما بقدومك يا سمو الأمير"

ربت جوزيف على كتف القاضي وأردف بنبرة أخف:

"لم أستطع إعطاء البقرة للتاجر، إنها كل ما لدى مالكها."

"سمو الأمير لم أشكك في قرارتك أبدا"

أومأ جوزيف مبتسما، ثم سار ليخرج من دار القضاء يتبعه حراسه، لحق به سريعا أحد الحراس، الحارس نفسه الذي دخل القاعة في أثناء قضاء جوزيف في مشكلة التاجر ومالك البقرة:

"سمو الأمير، لدي أخبار هامة للغاية بخصوص ذلك الشخص الذي طلبت العثور عليه"

أردف الحارس بصوت منخفض، شعر جوزيف باللهيب يعلو قلبه حتى يعرف الأخبار الجديدة، لكنه عليه الوثوق ألا أحد آخر يستمع للحديث:

"انتظر حتى نخرج من هنا"

"أمرك يا سمو الأمير"

"هل الزهور جاهزة؟"

وجه جوزيف تساؤله لأحد الحراس الآخرين:

"أجل، سموك، وقد تم وضعها في حقيبة فرسك ككل يوم"

خرج من الدار مبتعدا حتى يصل لفرسه، ثم تحرك هو جنوده ممتطين أفراسهم:

"ماذا إذن؟"

وجه جوزيف تساؤله للحارس بعد ابتعادهم بعض الشيء، فعليه أن يعلم ما توصلوا إليه بخصوص ذاك الشخص:

"سموك، لقد اقترب موعد مجيئه للغاية، ربما بحد أقصى غدا!"

توقف جوزيف بفرسه غير مصدق لمدى اقترابه من مقابلة ذاك الشخص، فقد ظل شهورًا يبحث عنه، أعقب ذلك توقف حراسه بأفراسهم أيضا غير مدركين لما أصاب جوزيف، توجه جوزيف للحارس الذي أبلغه بالخبر ثم أردف:

"أريد إبلاغي فورا بمجرد وصوله لهنا!"

"أمر سموك، لكن سموك.."

تردد الحارس وبدا عليه التوتر، نظر له جوزيف مستفسرا:

"ما الأمر؟"

"سموك مازال هناك فرصة بعدم جلبه؛ فسموك تعلم ما يُقال حيال السحر والسحرة"

اقترح الحارس بقلق، إنه يتفهم مصدر قلق ذلك الحارس، لكنه قطع كل ذلك الدرب لن يتوقف الآن:

"نفذ الأوامر فحسب"

تنهد الحارس ثم أومأ:

"أمر سموك"

" لا تقلق لن يصيبك مكروه، اذهب الآن وتابع المستجدات"

أمر جوزيف الحارس الذى أومأ مجددا ثم انصرف بفرسه سريعا بينما اتجه جوزيف وباقي حراسه لأكثر الأماكن بشاعة وألما بالنسبة له، ولكنه لا يستطيع التوقف عن الذهاب إليه مطلقا، ليس حتى يتأكد أن لا شخص آخر سيذهب مجددا لذاك المكان، استغرق الذهاب لذاك المكان ما يقارب النصف يوم باستخدام الفرس، فقد وقع ذلك المستشفى على أطراف عاصمة (ليس الكبرى)، ليس أي مستشفى، فهو خاص بمصابي المرض الأزرق فحسب، يلجأ إليها كثير من المصابين بذاك المرض في المملكتين، على الرغم من عدم إيجاد علاج للمرض، إلا أن الحكماء والعلماء بذلك المستشفى استطاعوا التوصل لطرق لإطالة عمر المصاب وتقليل ألمه، كرس جوزيف العشر سنوات الماضية من حياته في محاولات مكثفة لإيجاد علاج لذاك المرض، استدعى علماء من كافة أنحاء الأرض، أشرف على صناعة وتجربة عشرات اللقحة، أنفق كثيرًا من أموال (ليس الكبرى) في سبيل ذلك، لكن بلا طائل، لكنه لن ييأس، ولن يتخاذل حتى آخر رمق له حتى يصل لعلاج لذلك المرض، سار جوزيف لداخل المستشفى وأمر حراسه بانتظاره

بالخارج، بدى كئيبًا، لكن هذا ليس بغريب عليه فقد اعتاد كل ذلك، في بعض الأحيان يتمنى لو أنه يصاب بالمرض نفسه وينتهي كل شيء بالنسبة له، لكن كلا، لا يستطيع التفكير في الموت الآن، لا يستطيع التفكير بالموت حتى يجد علاجًا، مر جوزيف بالعنابر المختلفة حيث تحوي الحالات المختلفة للمصابين بالمرض تدرجا من الهين فالأشد، رأى الذين ازرقَّ كثيرٌ من أجزاء جسدهم، الذين يكادون يختنقون من فرط صعوبة التنفس، الذين يتقيئون الدماء، والذين تخرج الدماء من كل أجزاء جسدهم، والذين تورمت أجزاء من جسدهم واسودت، بل وعطبت وتآكلت تلك الأجزاء وصار مظهرها وملمسها أشبه بالطين، كان أغلب المصابين يُوضعون في غرف معزولة، فأي عدوى أخرى بأي مرض آخر حتى لو كانت بسيطة تصعِّب حالتهم بصورة أكبر، وتسمح للمرض الأزرق بالقضاء عليهم بصورة أسرع، كل هؤلاء الناس يأتون إلى هنا من كافة الأنحاء ليظلوا معزولين بغرفة، ويقللوا من آلامهم وتأجيل موتهم فحسب، يقطعون كل تلك المسافات لفعل ذلك عالمين في النهاية أن لا علاج فعلي للمرض، لم يجرب جوزيف ألم المرض، لكنه بالطبع قرأ عن كمٍّ بشاعته، ما لم يفهمه جوزيف أبدا هو لماذا يكون سبب بعضهم هو تأجيل موته، لماذا بكل ذاك الألم والمعاناة التي يشعر بها المصاب قد يريد الإمداد في عمره؟! سؤال ربما لن يعلم إجابته أبدا، توجه جوزيف مباشرة حيث يباشر العلماء تجاربهم وأبحاثهم، كانوا منهمكين بالفعل فيما يفعلوه حين وصل.

"تأخرت ظهور الأعراض قليلا، أليس كذلك؟! ربما يجدر بنا تكرار المحاولة"

أردف أحد العلماء الواق"فين" وهو يتأمل بشدة فأرًا محبوسًا في صندوق أمامه، أجابه معاونه:

"سيدي إنها المرة المائة والأربعون التي نكرر بها المحاولة نفسها"

"لا تجادلني، هناك تقدم إذن سنستمر بالمحاولة مع إضافة بعض التغييرات، قم بالمطلوب"

تنهد المعاون ثم أومأ وسار مبتعدا، وقف جوزيف إلى جانب ذلك العالم الملقب بمينا، زفر العالم بغضب قائلا:

"ألم أخبرك أن تقوم بالمطلوب؟!"

نظر العالم جهة جوزيف بغضب، لكن نظرته سرعان ما تغيرت للدهشة ثم للتوتر:

"أأأأ.. سمو الأمير، أعتذر لم أدرك أنه أنت"

ابتسم جوزيف مجاملة ثم ربت على كتف العالم ليعلمه أنه لا بأس، تساءل جوزيف:

"كيف تسير الأمور أيها العالم مينا؟ سمعتك تقول للتو أن هناك تقدم"

تأمل العالم الفأر مجددا بنهم، كما لو أنه صحن يتلهف لتناوله ثم أجاب:

"أجل يا سمو الأمير، آخر لقاح قمنا بعمله."

صفق العالم مينا بسعادة، بدت تصرفاته طفولية بعض الشيء لرجل يقارب الخمسة والستين من عمره، لكنه لم يتخاذل أبدا عن عمله لذلك أعجب جوزيف به وبعمله كثيرا، كان العالم مينا في الأصل من شبه جزيرة لونا، لكنه مقتها وأمضى أغلب حياته في المملكة الغربية لأن على حد قوله، شبه الجزيرة شبه مثالية وهذا يثير مللله للغاية، أكمل مينا حديثه:

"أترى هذا الفأر الجميل يا سمو الأمير، يا للهول كم هو بديع! لقد أخر اللقاح الأخير بعد التعديلات، لقد أخرت ظهور المرض لمدة ما يقرب من الستة عشر شهرا"

قهقه العالم مينا مكملا:

"ستة عشر شهرا يا سمو الأمير، هل تصدق؟ وحتى.. حتى عند بدء ظهور الأعراض، ظهرت ببطء عن المعتاااد، آآآه يا لروعتك يا عزيزي الصغير، يا لروعتك!"

أخذ العالم يتغنى بكلماته الأخيرة وهو ينظر للفأر بوله، بينما ارتجف الفأر قليلا:

"سمو الأمير جوزيف، علمت أنك ستأتي اليوم."

أردف شخص ما من خلف جوزيف، استدار جوزيف جهته ليجده أحد الحكماء المسئولين عن العنابر التي يتواجد بها أكثر الحالات تأخرا للمرض:

"مرحبا بك أيها الحكيم"

أردف جوزيف وأعقب العالم مينا بسعادة غامرة:

"تعال، تعال وشاركنا ما وصلنا إليه"

"أشكرك أيها العالم مينا، ولكني أود محادثة الأمير جوزيف في أمر هام"

"حسنا إذن، سأقضي وقتي برفقة جرذي العزيز"

أردف مينا مقهقها بصورة غريبة.

"ما الأمر الهام أيها الحكيم؟"

تساءل جوزيف ليجيبه الحكيم ببعض الأسى:

"سمو الأمير أدرك جيدا ما سياستك حيال القتل الرحيم للحالات المتأخرة للمرض، لكن.."

توقع جوزيف إلى أين سيتجه ذلك الحوار، تنهد الحكيم ثم أكمل:

"أعتقد أن هناك مصابًا يحتاج لذلك الحل"

على الرغم من عدم فهم جوزيف بسر تشبث هؤلاء المصابين بالحياة، إلا أنه لسبب ما حاول دوما تأجيل حل القتل الرحيم للحالات التي تحتاج بالفعل لذلك، لسبب قام جوزيف بمحاولة إقناع هؤلاء المصابين الذين استسلموا بالفعل أو أرادوا مفارقة على الاستمرار، أخذ دوما يخبرهم كم قد اقترب لإيجاد علاج محاولا إعطائهم نوع من الأمل، لم يدرِ لماذا يفعل ذلك، لم يدرِ لماذا كانت كلماته كلها عكس ما يشعر به تماما، لماذا قالها إذن وهو يعلم أنهم في النهاية سيموتون كغيرهم، سيموتون وقد عاشوا يأملون أن التاريخ سيكتب أنهم أول من تم معالجتهم، لماذا يفعل ذلك؟! ربما هو يريدهم أن يموتوا كأرواح سعيدة يوجد بها بصيص من الأمل، وليس كأجساد خاوية من الحياة والسعادة، خاوية

من أي شيء يدعو لانتظار غد أفضل، أو ربما لأنه أناني فزيادة عدد المرضى الأحياء وليس الأموات يساعده على إيجاد علاج بشكل أفضل وأسرع، ابتسم جوزيف بسخرية عند تفكيره بتلك الكلمة، أردف جوزيف بجدية:

"سأتحدث معه"

"كما تأمر يا سمو الأمير، لكن أتسمح لي أن أبدي نصيحتي؟"

"فلتفعل ذلك"

"بعض الأرواح تحتاج للرحيل فحسب يا سمو الأمير، يكون ذلك هو الأمل الوحيد الذي تنتظر الغد لأجله"

ربما كان هذا هو أكثر شيء منطقي سمعه اليوم، هل تتحدث عني أيها الحكيم وأنت لا تدري إطلاقا؟! تساءل جوزيف ثم أومأ قائلا:

"أحترم رأيك أيها الحكيم، لكني مازالت سأتحدث معه، فلتدلني على غرفته"

"كما تأمر يا سمو الأمير"

رافق الحكيم جوزيف حتى وصلا لغرفة مغلقة، دخل كلٌّ من جوزيف والحكيم للغرفة، على الرغم من الضوء النافذ من الشرفة، إلا أنها بدت كئيبة، لم يدرك جوزيف أذاك بسبب الغرفة فعلا أم بسبب الأجواء المحيطة به، أم أن تلك ليست سوى هلاوس جوزيف وحده؟ رأى في منتصف الغرفة مقعدًا خاويًا وفِراشًا ممددا أعلاه شخص يرتدي ملابس ثقيلة ويعلوه غطاء ثقيل، طبيعي الشعور بالبرد الشديد هو من أعراض الحالات المتأخرة للمرض، استند ذلك

الشخص على الحائط بعض الشيء، لم ينظر لهم، بل ظل ينظر للحائط بنظرة خاوية، أردف الحكيم

"رومان، لقد أتى الأمير خصيصا لرؤيتك ويود الحديث معك"

لم يجب الرجل، ظل فحسب كما هو، تنهد الحكيم ثم تحدث مجددا:

"رومان"

"تفضل، س م و، الأم ير"

تحدث الرجل الملقب برومان بصوت متحشرج ثقيل للغاية، أومأ جوزيف للحكيم كي ينصرف فسار الحكيم لخارج الغرفة، اتجه جوزيف نحو المقعد وجعله مواجها للفراش ثم جلس أعلاه، حينها فحسب نظر رومان جهته، بدا الآن كم كانت ترتعش أطرافه، بدا وجهه الذي ازرقت جبهته بينما سقط جزء من وجنته اليسرى والجزء المتبقي أصابه التعفن، حتى وصل للعين اليسرى وأصابها، عينه الأخرى جاحظة تعلوها غشاوة بيضاء، كان رومان شاحبًا للغاية ذو جسد هزيل، وبدا بعض اللون الأزرق بيده اليسرى كذلك، بينما اليمنى أصابها التعفن والأجزاء السليمة بها اسودَّ لونها، تساقط شعر الرجل ولم تعد سوى خصلات متناثرة بعشوائية.

"هل يعتنون بك جيدا يا رومان؟ هل تود تغيير هذه الغرفة الكئيبة؟"

تساءل جوزيف باسما، هز رومان رأسه نافيا.

" أر ي د ا لم و ت سم و ك"

أجاب الرجل بالصوت السابق نفسه، ربت جوزيف على كتف الرجل برفق ثم فكر بكل ما يستطيع قوله لبث الأمل في هذا الرجل، غد سيكون أكثر إشراقا، أوشكنا على إيجاد علاج، لكن عمَّ يتحدث؟! فلينظر لمظهر ذاك الرجل، عن أي أمل أو غد سيتحدث، لقد مرت عشر سنوات ومازال المصابون يصلون لحالة الرجل الممدد أمامه الآن، لم يدر جوزيف بماذا يجيب، أراد إعطاء الرجل خلاصا سريعا من كل هذا، لكنه لا يستطيع قتل المصابين فحسب، ذلك سيعرض (ليس الكبرى) لوباء فعلي، ذلك لن يؤدي للتوصل أبدا لعلاج. فجأة شعر جوزيف بيد الرجل المرتعشة تمسك بيديه بوهن ثم تحدث الرجل:

"أد رك، س موك أ أن هنا ك أمل وأنك ست ج د علاجا"

تنهد جوزيف وابتسم بأسى ثم أردف:

"هذا صحيح يا رومان لكن ليس عليك قول ذلك إن لم تكن تصدقه"

"كلا كلا سم و ك، أ أنا ف ع لا صد قت ذل ك ومازلت أصد ق لك ني أر يد الم وت"

استشعر جوزيف صدق الرجل، لكن لماذا إذن يطلب هذا الطلب الآن؟! تساءل جوزيف بحيرة:

"إذن لماذا تريد الموت؟"

"ل لقد كا نت لى ز و جة لم ت تغب عني يو ما واحدا م نذ مرض ي من ذ ثلا ث سنوات كا نت دو ما تحا دثني ووتبع ث فيّ الأم ل على الرغم من عدم تصد يقي لأي من هذا الحد يث حي نها"

ازدادت رعشة الرجل وأخذ يصدر أصواتًا تدل على شعوره بالبرد، ثم أكمل، حزن جوزيف لمظهر الرجل لكنه يخشى أن حالته لا تسمح بزيادة الأغطية أو الملابس، فذلك قد يؤدي لعدم قدرة الرجل على الحراك بسبب فرط هزالته، أكمل الرجل:

" ظننت أن ني سأمو ت ل كن استمرر ت بالحياة على غي ر المألوف حز نت لها لأنه ا ترا ني أمو ت أمامها لكني س سعدت بأنني أشار كها أيا مي الأخيرة كا نت تزورني وتجل س حيث تجل س سموك الآن لكن ت وقفت من ذ أسبو عين ووصلني.."

لمح جوزيف دموع الرجل تسقط أسفل وجنتيه:

"خ خبر وفا تها لق د كا نت محقة هنا ك أمل بالنسبة لي ففي النهاية تو فت هي بينما استمر رت أنا بالحيا ة وكا نت هي من تشا ركني أيا مها الأخي رة ولست أنا من أشار كها أيا مي الأ خيرة لك ن رغ م تأكد ي من حد يثها إلا أني لم أع د أري د الحياة كماأ ردته ا من قبل حين كان ت حية"

حاول الرجل مسح دموعه ثم ختم حديثه بنبرة بدت متوسلة

"أرجو ك أرجو ك يا سمو الأمي ر فقط دعن ى أم ت فلم لم يعد لي أي شيء في هذ ه الحيا ة"

شعر جوزيف بالأسى يجتاح كيانه، وقف من مقعده ثم أجاب الرجل:

"حسنا يا رومان، لك ما تريد"

للمرة الأولى رأى جوزيف ما يشبه الابتسامة على وجه الرجل الذي قال بامتنان: "شك را"

أمضى جوزيف بضعة ساعات أخرى في ذلك المستشفى يشرف على ما توصل إليه الحكماء والعلماء، يلقى نظرة على مصابين آخرين غير رومان، ويأمر بتنفيذ القتل الرحيم لرومان، خرج جوزيف من المستشفى وأمر حراسه بانتظاره في البقعة نفسها، بينما اتجه هو راكبا فرسه للمقابر المخصصة لدفن من ماتوا إثر المرض الأزرق، كانت تبعد عن المستشفى بما يقارب الساعتين ركضا بالفرس، ظلت كلمات رومان تتردد بعقل جوزيف في أثناء رحلته لتلك المقابر، وصل أخيرا إليها وقد أصابه بعض الإجهاد، لكن ذلك غير مهم، كان عدد القبور لا يُحصى، ذلك يتسبب في عدم إمكانية دفن الموتى في بعض الأحيان، والحاجة لحرق جثثهم عوضا عن ذلك، سار جوزيف حتى أحد القبور وثنى جزعه وركبتيه ليصير في طول القبر نفسه ثم تحدث بصوت هادئ:

"لم أخلف وعدي حتى الآن، لا تقلق، لن أتوقف، ولن يغمض لي جفن حتى أجد علاج لذلك المرض الذي أخذك منا، ولا تقلق حيال والدتك، إنها على ما يرام، وأنا، بخير، أنا فحسب."

تنهد جوزيف ثم أكمل: "أنا فقط أفتقدك كثيرا، أتمنى فحسب أن أرى ابتسامتك مجددا، وأن أسمع صوتك تناديني، وأن أحتضنك، هل تدرك ما اليوم؟!"

ضحك جوزيف قليلا ثم أجاب على سؤاله:

"إنه عيد مولدك، لو كنت هنا الآن لأتممت العشرين عاما يا بني"

*****

كان يومًا مرهقا حقا لجوزيف، لكنه كان مشابها لأغلب الأيام؛ فلا جديد حيال كونه مرهقا ولا جديد حيال التوصل لعلاج فعليٍّ للمرض، المزيد من اللقاحات التي تؤخر ظهور الأعراض فحسب، لا يلوم العلماء، أو ربما يفعل ذلك وربما هو يلوم نفسه فحسب، لا يدري، كل ما يدريه هو أن عليه الوصول لعلاج بأي ثمن، كان الوقت متأخرًا حينما دخل قصره، لم يدقق أبدا في تفاصيل هذا المكان، عرف اتجاهه فحسب دون أن يكترث لشيء آخر، لكنه دوما تذكر حب ابنه للنقوش المزينة للقصر، فقد ذكر أنها مميزة ليست كباقي أنحاء المملكتين اللتين تزين أغلب الأبنية بهما باللون الأحمر أو الأصفر أو بكليهما، بينما القصر هنا يُزيَّن بنقوش حمراء وزرقاء ممتزجتين سويا، تلك كانت أحد التفاصيل القليلة التي تجذب انتباه جوزيف بالقصر. كانت الإضاءة خافتة في الممرات، أراد جوزيف إتمام مهمته اليومية سريعا، ثم الذهاب للغرفة التي يحتفظ فيها بكل ما يخص المرض وقراءة ما يستطيع قراءته ككل ليلة محاولا تناسي أي شيء آخر، فتح الباب بهدوء ودخل دون إصدار صوت، فقد توقع ما رآه بالفعل، فقد كانت نائمة على الفراش باديًا عليها الإرهاق، ويبدو أنها أضاءت شمعتين أعلى طاولة صغيرة بجوار الفراش فهي تكره الظلام، غطاؤها نثر بعيدا يبدو أنها أبعدته بغير قصد في أثناء نومها، نُثر شعرها الكستنائي حول وجهها ذي اللون الباهت بغير انتظام،

اتجه جوزيف نحوها بهدوء ووضع على الطاولة المجاورة لها الزهور الزرقاء التي اقتطفها صباحا، ثم عدل الغطاء عليها، بدت ساكنة للغاية، بدت جميلة، لكنه لم يطل تأمل وجهها فقد أخرج شمعة من أحد الأدراج وأضاءها، ثم سار مبتعدا بتلك الشمعة نحو الغرفة المنشودة، دخل لتلك الغرفة ثم أخذ يضيء أكبر قدر من الشموع ليساعده على الرؤية، حَوَتِ الغرفة عدة مكتبات مرصوصة بالكتب، ومكتب كبير تعلوه عدة أوراق ويوجد أمامه مقعد معتدل الحجم، كانت تلك غرفة ابنه المفضلة، أحب دوما المجيء إليها وقراءة ما يتعلق بالأمراض المختلفة؛ فقد أراد أن يشب ويصير حكيمًا، اتجه جوزيف نحو إحدى المكتبات ثم أخرج منها كتابًا يتناول أعراض المرض الأزرق، وجلس على المقعد مزيحا الأوراق من أمامه، ليضع الكتاب ويبدأ بتصفحه سريعا مكررا ما يقرأه من الكلام قبل أن تقع عليه عيناه كما لو أنه قد حفظه بالفعل.

‘في البداية، يصاب الوجه بالشحوب، فقدان وزن، صداع، تقيؤ، تشوش رؤية، يشكو المريض من إصابة أحد أجزاء جسمه أو أكثر من جزء باللون الأزرق’

‘تزداد الأعراض حتى تصل لرعشة، حمى، صعوبة في التنفس، يشكو المريض من أن تقيؤه يصير ملوثًا بكمٍّ لا بأس به من الدماء، وكذلك يشكو من تورم أجزاء الجسم ذات اللون الأزرق، وتصيبه البرودة بشكل مبالغ به’

‘يصير المصاب في حالة متأخرة عندما تتحول أجزاء جسم المريض التي أصابها اللون الأزرق والتورم للون الأسود، ويزداد ذلك متحولا لعفونة تؤدي

بالتدريج لتساقط تلك الأجزاء حرفيا عن الجسد، يعاني المريض في هذه المرحلة من آلام مبرحة، يتغير صوته ويصير أثقل، كما أنه يتحدث ويتنفس بصعوبة، يصيب جسد المريض هُزال شديد وجحوظ العينين فيصير أشبه بالجثة، ويبدأ الدم بالخروج من أي مخرج في جسده ونهاية المريض في هذه المرحلة تكون الموت الحتمي الناتج عن كل الأعراض السابقة'

'شابهت بعض أعراض المرض أعراض أمراض أخرى، لكنها بدت أشبه بخليط من أعراض عديدٍ من الأمراض التي لم يبدِ استخدام علاجها أيَّة نتيجة في علاج المرض الأزرق، تم التوصل لبعض المسكنات للآلام الناتجة عن المرض، لكن علاجًا فعليًّا لانتهاء المرض من جذوره لم يتم التوصل إليه'

أخذ يقرأ حتى غاب عن الوعي.

"جوزيف، جوزيف،"

أفاق جوزيف ليجد جودي تقف أمام المكتب، وتبدو عليها ملامح القلق، جودي ذات الشعر الكستنائي والبشرة البيضاء الباهتة، والعيون الزرقاء التي ورثها ابنهم المتوفي عنها.

"جوزيف، يجدر بك أن تخلد للنوم، إنها ساعة متأخرة"

"لا بأس يا جودي، أنا على ما يرام"

أردف جوزيف وهو يشعر بثقل عينيه الشديد، اقتربت منه جودي ووقفت أمامه مباشرة ثم تحدثت بنبرة حزينة:

"جوزيف من فضلك، يكفيك مكوثًا في هذه الغرفة، تبدو متعبًا للغاية، اخلد للنوم فحسب، من فضلك"

لم يرد جوزيف الرحيل، لكنه بالفعل كان متعبا للغاية، وأراد الحصول على قسط من الراحة، وقف ثم سار لجوار جودي وهما يخرجان من الغرفة، تساءل جوزيف:

"هل أتى إليكِ الحكيم؟"

"أجل وأخبرني أنه سيحتاج المجيء بضعة مرات أخرى كي يتأكد مما أصابني، لا أدري لماذا، فقد أصاب جسدي بعض البرودة فحسب"

أومأ جوزيف، كان قد بعث حكيمًا لمعرفة ما بال زوجته، فقد أصابها بعض التقيؤ المستمر، أصرت على كون جسدها قد أصابه البرودة فحسب، لكن جوزيف أراد الاطمئنان، فإشرافه الدائم على المصابين بالأمراض المختلفة وقراءته كثيرًا عن تلك الأمراض أصابه بالقلق حيال أي عرض مرضي يشهده أمامه، لم يسيرا سوى بضعة خطوات حتى سمع صوت أقدام متسارعٍ جهتهم، ثم وجد حارسًا يتجه نحوه، الحارس الذي أوكله جوزيف بإخباره فورا عند وصول ذلك الشخص الذي سمع كثيرًا حياله، نظر له جوزيف مستفسرا عن سبب مجيئه الآن:

"سمو الأمير جوزيف، أعتذر للغاية عن إزعاجك في هذا الوقت، لكن من كنت تنتظر وصوله قد وصل بالفعل سموك"

علت وجه جوزيف ملامح عدم التصديق، فقد ظل ما يقارب السنتين يبحث عن ذلك الشخص.

"بالتأكيد كان يمكن تأجيل ذلك للصباح فسمو الأمير متعب للغاية"

وجهت جودي حديثها للحارس بنبرة حانقة، توتر الحارس ثم أجاب

"أ.. أعتذر يا سمو الأميرة، لكن سمو الأمير أوصاني بـ.."

"قدني حيث يوجد"

قاطعها جوزيف أمرا الحارس.

"أمر سموك"

"جوزيف، يجدر بك الراحة، انظر لوجهك، إنك مرهق للغاية"

وجهت جودي حديثها لجوزيف بنبرة قلقة، ربت جوزيف على يدها مجيبا بهدوء:

"لا بأس يا جودي، أنا على ما يرام"

"لا تخبرني سوى بذلك، جوزيف أنت لست على ما يرام، من فضلك."

"اخلدي أنتِ للنوم، سأعود سريعا، لا تقلقي حيالي"

حاولت جودي جذب ساعده برفق، لكنه سار مبتعدا قبل أن تفعل ذلك، فهو يعلم أنها ستزيد من اعتراضها حيال رحيله، إنها لا تدرك أهمية كل ذلك، لا تدرك أهمية إيجاد علاج، فقدت الأمل في إيجاده منذ وفاة ابنهم، ومنذ ذلك الحين وهي تعترض علامَ يفعله جوزيف معللة ذلك بأنه يحتاج أن ينام قليلا، أن يأخذ قسطًا من الراحة، أن يتوقف عن إجهاد نفسه، لماذا هي قلقة دوما حياله؟ لا

يدري، فهو بالفعل سينام ويرتاح كثيرا حين يموت. لم يستغرق جوزيف كثيرًا من الوقت حتى وصل لحيث أراد، حيث يوجد من يتلهف جوزيف لمقابلته، حيث يوجد ذلك الشخص، نزل عديدًا من الدرجات، الظلام يحف المكان من جميع الجهات لولا تلك الشعلة التي يحملها الحارس لكانوا قد تعثروا في تلك الدرجات بالفعل، وربما فقدوا حياتهم جراء ذلك؛ حيث يحف الدرجات من الجهتين حافة تؤدي للسقوط فورا لنهاية دامية؛ فالارتفاع شاهق كما أن الظلام يدمسها تماما.

"سمو الأمير، ربما من الأفضل أن أحضره لك عوضا عن نزولك للزنزانات المخفية."

"كلا، أريد أن يكون أمره سريًّا بقدر الإمكان"

وصل الحارس وجوزيف لأرضية صلبة مستوية، أخيرا بعد عديدٍ من الدرجات غير الآمنة، سارا في بضعة طرق متفرعة حتى وصلا لتلك الزنزانة المنشودة.

"لماذا لا تضيء الشعلة بجانب الزنزانة؟"

تساءل جوزيف بغضب.

"سموك أخبرتني لتوك أنك تريد السرية التامة."

"لا دخل للسرية التامة بعدم رؤيته أي شيء، فهو بالفعل في مكان منعزل للغاية، يستحيل إيجاده، أضئ الشعلة بجانبه فورا واحرص على أن تظل كذلك"

"أمر، سموك!"

انصاع الحارس لأمر جوزيف وأضاء الشعلة، ثم وضعها على الحامل الخاص بها بجوار الزنزانة، طوال ذلك الوقت لم يرَ جوزيف أيَّة حركة لم يسمع حتى كلمةً أو صوتًا، لم يوجد سوى أصوات أنفاس خفيفة للغاية، حتى ذلك شك في أنه قد سمعه حقا، واشتم رائحة سيئة تنم عن الافتقار للنظافة، أخذ جوزيف الشعلة الأخرى من الحارس واقترب بها من الزنزانة، ليجد رجلًا يبدو عليه الهزال يجلس مستندا للحائط، لم يكن واضحا للغاية؛ فمازال الظلام يحيط بأغلب هيئته على الرغم من ضوء الشعلة، لكن جوزيف استطاع أن يلمح لحيته النامية وشعره الطويل الذى يغطي كتفيه، عيناه مغمضتان كما لو أنه نائم يحلم، حاول جوزيف أن يرى ملامحه بشكل أوضح لكنه لم يوفق؛ فهيئة الرجل وجلسته تلك لم تساعداه على ذلك، ولكن جوزيف لشدة الغرابة شعر بالألفة تجاهه، كما لو كان ذلك الرجل يذكره بأيام ما سعيدة مضت منذ دهور.

"أنت، استيقظ!"

تحدث جوزيف، فتح الرجل عينيه موجها إياهما نحو جوزيف، تساءل جوزيف:

"هل لك اسم يمكنني أن أدعوك به؟"

"يمكنك أن تدعوني بالسجين"

أجاب الرجل بصوت هادئ للغاية، شعر جوزيف ببعض الحيرة من إجابة الرجل وهدوء صوته، ثم لماذا السجين، يذكر حينما سمع عنه للمرة الأولى من أحد العلماء لديه، حينما تحدث عن ذلك السجين الغريب الذى استطاع شفاء

بعضٍ بطرق مذهلة، كما لو كان معجزة على الأرض، لم يضع جوزيف الأمر في باله بصورة كبيرة في البداية، لكن مع مرور الوقت وعدم التوصل لعلاج فعلي، صار يريد التشبث بأي أمل يجده، اتهم بعضٌ ذلك الرجل بالسحر والدجل، فقد دارت الشائعات حول السجين بأنه يستخدم السحر الأسود؛ لذلك فقد صار سجينًا أو هذا ما قيل لجوزيف، لكن جوزيف لم يهتم وعزم على إيجاده وبالفعل استطاع جنوده فعل ذلك لكن بصعوبة، فلم يكن إيجاد سجين كهذا في القارة المجمدة بالأمر الهين، عوضا عن ذلك الموافقة على إرساله لـ(ليس الكبرى) بناء على طلب الأمير جوزيف، لم يؤمن جوزيف حقا بالسحر والشعوذة، لكن بعد كل تلك السنوات، لم يبدُ أن المنطق مجدٍ للغاية، فهذا المرض مستتب الجذور بشكل غير طبيعي، كأنه روح ملعونة ترفض الرحيل بأي بشكل يُذكر، تساءل جوزيف:

"لماذا السجين؟ لماذا ليس الحكيم؟ الساحر؟"

"إنها الحالة الوحيدة التي ستراني عليها"

أجاب السجين بهدوئه السابق نفسه، أصابت الإجابة جوزيف بمزيد من الحيرة، فمَ الذي يعنيه ذاك الرجل بهذا؟!

"ماذا تعني؟"

"احتمالات كثيرة، احتمالات لا تنتهي لما أعنيه، لكن الهام الآن هو ما الذي تريده مني أيها الأمير؟ ما الذي قد يريده أمير ذو صيت وبلاد تحت إمرته من رجل أصابه الهزال والعفن مثلي؟!"

وقف السجين وتساءل، بينما هو يقترب من باب الزنزانة، لمح جوزيف ملامحه بصورة أكبر الآن، فاحت منه رائحة سيئة حقا، ولم يبدُ حينها هزيلا لذاك الحد، كان يرتدي سروالًا ورداءً يصل حتى منتصف ذراعيه، بدا شعره طويلًا حقا، ذو لون أسود يخفي أذنيه، وكذلك لحيته بدت أطول، لديه عيون رمادية غريبة الشكل قليلا، تحدث جوزيف:

"لابد أن شخصًا يتحاكى جميع الناس عن قدراته عن إيجاد علاج للأمراض مثلك قد سمع بمرض يسمى بالمرض الأزرق"

"ما علاقة ذلك بما تريده أيها الأمير؟"

"ما أريده هو علاج لذلك المرض!"

أجاب جوزيف بنبرة حازمة، هز السجين رأسه ثم تحدث:

"هذا ما تحسب أنك تريده، لكنه ليس كذلك"

شعر جوزيف بالتعجب والغيظ من ذلك الرجل، أيحاول المماطلة فحسب أم شيئًا آخر؟!

"لن تدري ما أريده أكثر مني يا هذا!"

أجاب جوزيف ببعض الغضب، تحدث السجين:

"سأكون كريما معك أيها الأمير، سأعطيك شيئين نصيحة وأمنية وبمقدار تحقق أمنيتك ستدرك كم كانت نصيحتي هامة، ثم سأرحل من حياتك، لكن يجب أن تكون أمنيتك شيئا تريده حقا"

يبدو أنه بالفعل دجال كما يطلقون عليه، فما هذا الهراء؟! تساءل جوزيف لكنه قرر إكمال هذه المسرحية السخيفة ومعرفة نهايتها، أجاب جوزيف:

"أريد علاجًا لإنهاء المرض الأزرق تماما!"

ابتسم السجين للمرة الأولى قليلا ثم قال:

"مازالتَ لا تبوح بما تريده حقا أيها الأمير."

سكت السجين قليلا ثم أكمل:

"قد كان فتى صالحًا حقا، شعر أسود، عيون زرقاء تشبه عيون والدته، ذو ذكاء حاد، لم يرد سوى الإصلاح والمعرفة، مبتسم دوما، يهدي والدته زهرة زرقاء كل يوم حتى مع اقتراب نهاية الدرب، لم ينسَها أبدا، وعلى الرغم من اختفاء النضارة والحياة تدريجيا ظلت الابتسامة."

تخشب جوزيف لما سمعه لتوه، وشعر أن عينه ستخونه وتسقط ما تجمع بها، ولكنه تمالك نفسه وأخذ نفسا عميقا بهدوء مغلقا عينيه، كيف لذلك الرجل أن يعلم بشأن ابنه، أيعقل أن أحد حراس جوزيف تحدث أمامه أم أنه يعلم حقا بأمور السحر؟ بدأ مسار أفكار وتساؤلات جوزيف يتغير حيال ما يقوله ذاك الرجل، أيعني بذاك الكلام أن جوزيف لا يريد حقا إيجاد علاج، بل يريد أن يكون ابنه برفقته أو حتى أن يرى ابنه مجددا، ولو لوهلة، لوهلة قصيرة فحسب، كم يتمنى سماعه ورؤيته، يتمنى ذلك أكثر من أي شيء آخر، همَّ جوزيف بنسيان كل شيء، همَّ بالتفوه بما يريده حقا، وهو يتخيل لقاءه بطفله مجددا، لكنه لا يدرك

كيف توقف، توقف وهو يفكر في أن ما أراده ابنه أهم مما يريده هو، وما أراده ابنه هو علاج المرض الأزرق. صمت جوزيف لوهلة ثم أردف:

"لقد أخبرتك بما أريده بالفعل، لكنني أدرك جيدا أنك تريد شيئا في المقابل لتساعدني على إيجاد علاج للمرض الأزرق، يمكنني إعطاءك أي شيء تطلبه"

عم الصمت لفترة حتى أجاب السجين:

"كلا لا يمكنك!"

بدا الاستياء على الحارس وهم بالاقتراب من السجين:

"فلتتحدث مع سموه بنبرة أفضل!"

أوقفه جوزيف سريعا وأمره بالابتعاد لبعض الوقت ثم أردف:

"سمٍّ ما تريده فحسب، وسأحرص على أن تحصل عليه"

"إن كنت قد أعدت طفلك للحياة لحسبت ذلك، لكنك لا تستطيع إعادة الموتى يا سمو الأمير، إذن فلا يمكنك إعطائي ما أريد."

ربما قد فقد شخصًا عزيزًا وشعر باليائس بسبب ذلك كالمريض الذي قابله صباحا، فكر جوزيف قائلا:

"إنك محق لا يمكنني إعادة الموتى، لكن يمكنني منع موت آلاف آخرين؛ بمساعدتك يمكننا القضاء على المرض الأزرق! بمساعدتك لن يضطر كثيرون لفقدان أحبائهم والمعاناة من ذلك الألم أبد الدهر!"

"ما أدراك أن عدم موتهم هو الصواب؟!"

تساءل السجين، بينما شعر جوزيف بأن هذا السجين غير مفهوم حقا، ما الذي يعنيه؟

"ما تقوله يختلف مع طلبك السابق!"

"وما أدراك يا سمو الأمير أن ما أريده هو الصواب؟!"

هذا ليس وقتًا للألغاز، فكر جوزيف! ما مغزاه مما يفعل الآن؟ لابد أن هناك شيئا ما يريد الوصول له من وراء كل تلك الأسئلة!

"فسر ما تعنيه، إلامَ تريد الوصول بالتحديد؟!"

"ليس كل شيء كما يبدو أيها الأمير، ترى الأمر بصورة، ويراه غيرك بأخرى، ولكن ما الحقيقة؟"

"ربما أقتنع بالحقيقة التي تراها أنت، لمَ لا تطلعني عليها؟"

حاول جوزيف مجاراته عله يدرك ما ذلك الرجل يعنيه.

"الحقيقة أنه لا يوجد ما يدعى بـالحقيقة، فهي ليست سوى صورة رسمتها مخيلة كل شخص بشكل مختلف، وفي النهاية هي ليست سوى وهم، سراب.."

اللعنة، يصعب فهم هذا الرجل حقا، حاول جوزيف مسايرته، لكنه يزيد الأمر صعوبة فحسب.

"ربما، لكن ما الحقيقة حيال شخص يستطيع معالجة أطفال وإعادة السعادة والأمل لوالديهم، إبقاء أمهات على قيد الحياة لكي لا يكبر أطفالهن وهم لم يشعروا بحنان الأم أبدا، إنقاذ أبٍ كي لا يصعب حال أسرته من بعده، أخ، أخت، صديق، زوجة.. وغيرهم ليس عليهم أن يموتوا، وذلك الشخص يرفض

فحسب، لأنه يرى أن عدم إنقاذهم هو الصواب، أخبرني ما حقيقة هذا الشخص في مخيلتي أو في مخيلة أي شخص آخر؟!"

تحكم جوزيف بغضبه الذي كان على وشك الاشتعال من ذلك السجين الذي لا يوضح أي شيء بحديثه، عمَّ الصمت مجددا، تساءل جوزيف شاعرا ببعض السخرية:

"إن كنت ترى أن علاج المرض الأزرق ليس ما أتمناه حقا، فما نصيحتك التي بمقدار تحقق أمنيتي سأدرك أهميتها؟!"

ابتسم السجين للمرة الثانية مردفا:

"ركز على ما تملك أيها الأمير، وليس على ما فقدت، فالموت يشغل البشر بما فقدوا حتى يسرق ما تبقى لهم، تلك هي نصيحتي لك."

*****

'ففي النهاية تو فت هي بينما استمر رت أنا بالحيا ة وكا نت هي من تشا ركني أيام ها الأخي رة ولست أنا من أشار كها أيا مي الأخيرة'

لم يتوقف صدى تلك الجملة عن الرنين بعقله وصدى جملة أخرى، جملة أشعرته بثقل جمٍّ يجتاح قلبه، لم يحسب أبدا أن بعد وفاة ابنه سيؤثر به أي خبر، لكن تلك الجملة كانت أشبه بالصاعقة لكيانه:

'سمو الأمير، أنا آسف، لقد تأكدت، وبهذه الورقة الأعراض التي تشكو سموها منها، أخشى أن، سمو الأميرة جودي قد أُصيبت بالمرض الأزرق.'.

دارت بخلد جوزيف تلك الذكرى، وهو ينظر للمرة الخمسين للأعراض المكتوبة

بالورقة التي يحملها بين يديه في أثناء جلوسه خلف مكتبه، أغمض عينيه وهو يشعر بصدره يشتعل غضبا، لم يشعر بنفسه وهو يكوم الورقة بين يديه الثائرتين، ثم بعزم ما لديه يصدمها بالمكتب وهو يسب ويلعن دون صوت، تنهد شاعرا بقلبه يحترق وبقواه تخور، اللعنة لا يمكن أن يحدث ذلك، فتح عينيه ليجد أمامه آخر شخص يتوقعه، أو بالأحرى لا يريد أن يتوقعه، يقف أمام مكتب جوزيف ناظرا له ولما فعله جوزيف منذ ثوان، منذ متى يقف هنا؟ ولماذا أتى؟ فكر جوزيف بسخط متذكرا صورة الفتاة الباكية بحُرقة ثم تساءل بصوت هادئ:

"لمَ أنت هنا؟ حسبت أني أخبرتك أني لا أريد رؤيتك مجددا"

"هذه أرضي كما هي أرضك، يمكنني أن آتي وقتما أريد"

حقا لا يريد جوزيف إطالة ذلك الحديث.

"إنها أرضك يمكنك المجيء إليها، ولكن لا مكان لك بجواري، لن أكرر حديثي لا أريد رؤيتك مجددا"

"هل تحسب أني أتيت لهنا لأخبرك أني أتوق لمغفرتك أو أريد أن أصير بجوارك؟!"

"لا أريد سماع المزيد يا "بودير"‥"

حاول جوزيف إنهاء المحادثة لكن "بودير" قاطعه:

"لقد أتيت لتحذيرك! تحذيرك من جنودك، من المحيطين بك، هناك كثيرٌ من الجواسيس يحيطونك وهناك من يتربصون بك ظنا منهم أنك ستطالب بالحكم إذا أصاب عمي مكروهًا، جئت بنفسي من العاصمة الأم لفعل ذلك فقد علمت

أن أي خطاب سأبعثه على الأغلب لن تتكبد عناء قراءته، وربما يعرف بفحواه أحد الجواسيس الذين أخبرتك عنهم، ولعلمي أنك لم تعد تهتم لأي شيء سوى لعلاج المرض الأزرق وبسبب ذلك لا تدري حقا ماهية المحيطين بك!"

بدا القلق على ملامح "بودير"، وقف جوزيف واستدار لينظر من النافذة.

"جوزيف، دعني أُحِطك بجنودي، إنهم ذو ولاء عالٍ ولن يقوموا بخيانتك أبدا"

سحقا له ولجنوده، بالطبع سيكونون ذوي ولاء عالٍ؛ ف"بودير" يجندهم منذ الطفولة، تحدث جوزيف بهدوء وهو لا ينظر لأخيه:

""بودير" لا أريد جنودك، أريدك أن ترحل"

لكن "بودير" لم يجِبه، توقع جوزيف أن يهم أخوه بالرحيل، لكنه لم يسمع كذلك صوت خطواته وهي تبتعد، استدار جوزيف ليجد أخوه يمسك بالورقة المكومة على المكتب وينظر لما كُتب فيها بعيون واسعة، كيف يجرؤ؟!

"جوزيف، أما كُتب هنا صحيح؟! أجودي مصابة بالمرض الأزرق؟!"

شعر جوزيف بالغضب يغزوه وبنبرة صوته تعلو:

"لا دخل لك بذلك أو بأي شيء يخصني؛ لقد أخبرتك أن ترحل وهذه المرة تذكر أني لا أريد رؤيتك مجددا!"

احتدت ملامح "بودير" وهو يرمي الورقة على المكتب، هم بالرحيل لولا استئذان حارس بالدخول سريعا تعلو وجهه نظرة هلع، أردف الحارس بصدمة:

"سمو الأمير، لقد توفي الملك!"